عنوان المداخلة: "الإعجاز الدلالي للمصطلح القرآني –دراسة تطبيقية على مصطلح "الجهل" في ظلّ السياق القرآني" .

عنوان الملتقى الوطني: المصطلح القرآني من جهود التأصيل إلى آفاق التنزيل .

إعداد: د: هشام شوقي .

الرتبة: أستاذ محاضر أ .

المؤسسة الجامعية: جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة للعلوم الإسلامية .

البريد الإلكتروني: chougi_19@hotmail.fr .

رقم الهاتف: 0553550006 .

تاريخ انعقاد الملتقى:**10** نوفمبر 2021 .

مكان انعقاد الملتقى: جامعة غرداية .

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

يعتبر المصطلح القرآني مظهرا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، إذ كل لفظة منه جاءت في موضع لتؤدّي وظيفة معيّنة ومعنى لا يؤدّيها غيرها من مرادفاتها لو وضعت مكانها، فهو مصطلح غني بالمعاني اللغوية في ذاته، إضافة إلى معان أخرى تظهر إما في السياق الذي جاء به في الآية أو في علاقته بالمصطلحات المماثلة له في القرآن الكريم .

ومن هنا تظهر أهمية إبراز الإنتاج المعرفي للمصطلح القرآني الذي أسهم كثيرا في إثراء معاني مصطلحات اللغة العربية، ولكن هذا يحتاج إلى دقة نظر واستقراء لمسار مصطلحٍ ما في القرآن الكريم، ولذلك فقد اشتغل العلماء قديما وحديثا بالتأصيل للمعارف المتعلقة بهذا النوع من الدراسات القرآنية، وألفوا فيها مؤلفات خاصة بالمفردة القرآنية كما فعل الراغب الأصفهاني في كتاب "المفردات" وفعل غيره .

وفي العصر الحاضر لما صنِّفت الدراسات القرآنية إلى أصناف ظهرت دراسات خاصة بالمفردة القرآنية وجعلت كنوع مستقل من أنواع التفسير الموضوعي وعرفت "بالمصطلح القرآني"، فكتب فيه الباحثون تأصيلا له وتطبيقا، فظهرت أنواع جديدة من الإعجاز في القرآن الكريم .

ومن هنا جاءت هذه المداخلة لتسهم في شيء من جوانب هذا النوع من الدراسات، حيث أردنا أن نجيب من خلالها عن بعض الإشكالات المتعلقة بالمصطلح القرآني، والتي منها: ما المقصود بالمصطلح القرآني، وما هي خطوات التأليف فيه؟، وهل يتغير معنى المصطلح بتغير السياق الذي ورد فيه ؟، ما هي الدلالات التي جاء بها مصطلح "الجهل" متأثرا بتغير السياق الذي ورد فيه؟ . كلّ هذا الإشكالات سنحاول الإجابة عليها من خلال هذه الورقة البحثية التي قسمناها إلى مبحثين هما:

المبحث الأول: مقدمات تأصيلية حول المصطلح القرآني .

المبحث الثاني: الإعجاز الدلالي لمصطلح "الجهل" في ظل السياق القرآني .

وتفصيلها كما يلي:

المبحث الأول: المصطلح القرآني:

أولا: تعريفه:

وهو أن يتتبّع الباحث كلمة من كلمات القرآن الكريم، ويجمع الآيات التي وردت فيها ومشتقاتها من مادتها اللغوية، ثم يقوم بتفسيرها واستنباط دلالاتها واستعمال القرآن الكريم لها، مثل كلمات: الأمة، الصدقة، الجهاد، الكتاب، فهي تأخذ وجوهًا في الاستعمال والدلالة، والمتتبع لذلك يخرج بلون من التفسير لأساليب القرآن الكريم في استخدام مادة المفردة ودلالاتها .

وقد اهتمت بهذا النوع في القديم كتب الأشباه والنظائر، وبعض كتب: غريب القرآن[1]، إلا أنها توقفت عند بيان دلالات الكلمة في موضعها من غير ربط بين مواضع ورودها واستعمالاتها في كل موضع، فبقي تفسيرهم للّفظة في دائرة الدلالة اللفظية،

ثم اتسع هذا اللون وتتبع المفسرون الكلمة وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواضع، فظهرت بذلك معاني جديدة، وألوانا من البلاغة ووجوها من الإعجاز القرآني، واستنبطوا دلالات قرآنية دقيقة لا تظهر بغير هذا المسلك .

ثانيا: من المؤلفات المعاصرة في المصطلح القرآني:

1 .كلمة "الحق" في القرآن الكريم، تأليف: الشيخ: مُحَمَّد بن عبد الرحمان الراوي .

2 . المصطلحات الأربعة في القرآن (الإله، الرب، العبادة، الدين)، تأليف: أبي يعلى المودودي .

3 . "الأمة في دلالاتها العربية والقرآنية"، تأليف د: أحمد حسن فرحات .

4 . " الحمد" في القرآن الكريم، تأليف: مُحَمَّد مُحَمَّد خليفة .

5 . من مفردات القرآن "المنافقون"، تأليف د: مُحَمَّد جميل غازي، وغيرها كثير [2] .

ثالثا: منهجية الكتابة في المصطلح القرآني:

المرحلة الأولى: مرحلة البحث والجمع: وتشمل الخطوات الآتية:

1 . اختيار المصطلح القرآني الذي نريد البحث فيه، مثل: الجهل، الأمانة، الجهاد، الميثاق ...إلخ .

2 . تحديد جذر الكلمة: وهو إعادتها إلى أصلها ، فالجذر الثلاثي، للجهل (ج هـ ل) والجهاد جذره (ج هـ د) .

3 . أخذ معنى جذر الكلمة من أمهات كتب اللغة ومعاجمها الأساسية، ومنها:

أ . معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ت: 395 هـ) .

ب . مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني (ت: 502 هـ) .

ت . لسان العرب لابن منظور الإفريقي المصري (ت:711 هـ) .

ث . عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي (ت: 756 هـ) .

ج . الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي (ت:1094 هـ) .

4 . متابعة ورود الجذر الثلاثي واشتقاقاته وتصريفاته في القرآن الكريم، وذلك بالرجوع إلى المعاجم التي عنيت بفهرسة ألفاظ القرآن، ومن أهمها:

أ . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي .

ب . معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، لإسماعيل عمايرة وفؤاد السيد .

ت . معجم ألفاظ القرآن الكريم، الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة .

تنبيه: قد يفيدك استعمال الحاسوب للبحث في المصحف الإلكتروني عن الكلمة المراد معرفة مواضعها، ولكنّه يكون بحثا قاصرا إذ الحاسوب يعطيك الكلمة التي تبحث عنها بألفاظها، ولا يعطيك مشتقاتها وما تصرف منها .

5 . ربط المعنى اللغوي للمصطلح بالمعنى القرآني الذي استعمل له، وملاحظة توفر المعنى اللغوي في كلّ مفردات واشتقاقات المصطلح القرآني لأن هناك علاقة بينهما .

6 . ربط المصطلح القرآني مع السياق الذي ورد فيه، لأن اللفظة يتغير معناها بتغير السياق الذي وردت فيه .

7 . ترتيب الآيات التي ورد فيها المصطلح على حسب نزولها، فيرتّب على السور المكيّة ثم المدنيّة، مع ملاحظة تطوّر معنى المصطلح والإضافات عليه في الآيات المتأخرة، والانتباه للنسخ، ومعرفة أسباب النزول، ثم معرفة القراءات الأخرى الصحيحة للمصطلح وتوجيه كلّ قراءة منها، حينئذ يكتشف الباحث أسرارًا في استعمال المصطلح في الصيغ التي ورد بها .

8 . الاطلاع على تفسير الآيات التي ورد فيها المصطلح في أمهات كتب التفسير: مثل: تفسير الطبري "جامع البيان" وابن عطية "المحرر الوجيز" وابن كثير "تفسير القرآن العظيم" وابن عاشور "التحرير والتنوير" وغيرها، فيجمع منها ما ورد من أحاديث صحيحة أوردها المفسر لتأييد قوله، أو أقوال مأثورة عن الصحابة ومشاهير المفسرين .

9 . ملاحظة البعد الواقعي للمصطلح موضوع البحث، ومعرفة مدى علاجه لمشكلات المجتمع، لأن الغرض هو معالجة قضية اجتماعية .

10 . الوقفة المتأنيّة الفاحصة أمام الآيات التي أوردت المصطلح، واستخلاص دلالاتها والالتفات إلى لطائفها واستنباط الدروس والعبر منها وتسجيل الحقائق التي تَضمَّنَتها [3] .

المرحلة الثانية: مرحلة الترتيب والتبويب والصياغة[4]: وتشمل الخطوات الآتية:

1 . إلقاء نظرة فاحصة على المادة التفسيرية المجموعة أمامه، نظرة منهجية موضوعية بهدف إدراك معالم الفصول والمباحث وترتيبها ترتيبا منهجيا .

2 . وضع مخطّط منهجي موضوعي للبحث مفصل الفصول والمباحث، بحيث تكون هذه المادة متناسقة ذات عناوين معتبرة .

3 . توزيع المادة التفسيرية على فصول ومباحث المخطط، ووضع مادة كلّ فصل على حدة، بحيث تكون مادّة كلّ فصل معروفة محددة .

4 . البدء بتحرير كلّ فصل، وعدم الانتقال إلى فصل إلا بعد الانتهاء من الفصل الذي قبله .

5 . **الحرص على دقة الصياغة من الناحية الظاهرية والموضوعية،** بحيث تكون كتابته خالية من الأخطاء الإملائية والنحوية، ويضع علامات الترقيم في مواضعها من فواصل ونقط وغيرها، مع أسلوب سلس مشرق في التعبير فصيح بليغ .

6 . ملاحظة وضع اللطائف واللّفتات في مواضعها، حيث تكون متناسقة مع المكان الذي وضعت فيه ولا شاذة عنه .

7 . التركيز على ربط موضوع البحث بمقاصد القرآن وأهدافه، باعتباره كتاب هداية وتوجيه وتشريع وإعجاز، والالتفات إلى الواقع المعاصر ومشكلاته وإظهار علاج البحث لها .

8 . الإخراج الفني المقبول لبحثه، من حيث المقدمة وعناصرها، والفصول مع مباحثها، والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، و التوثيق العلمي للمادة المكتوبة، ووضع الهوامش، وتخريج الآيات والأحاديث النبوية، وشَكْلِ الكلمات المبهمة وشرحها .

المبحث الثاني: مثال تطبيقي لمصطلح "الجهل" في القرآن الكريم:

أولا: مادة "الجهل" في معاجم اللغة العربية:

قال ابن فارس:"(جهل) الجيم والهاء واللام أصلان: أحدهما خِلاف العِلْم، والآخر الخِفّة وخِلاف الطُّمَأْنِينة" [5] .

وقال الراغب: " الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلوّ النفس من العلم، هذا هو الأصل، والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقّه أن يفعل" [6] .

وقال السمين الحلبي:" والجهل ضربان: بسيط ومركب، وأقبحهما الثاني لأن صاحبه يجهل ويجهل أنه يجهل" [7] .

وقال ابن منظور: "والجاهلية زمن الفترة ولا إسلام وقالوا الجاهلية الجهلاء فبالغوا ... وفي الحديث "إنك امرؤ فيك جاهلية" هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبّر وغير ذلك"[8] .

وجاء في المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة:" جَهِلَتِ القِدْرُ جَهْلاً: اشْتَدَّ غليانها، وجَهِلَ فُلَانٌ على غَيره جهلا وجهالة: إذا جَفاه وتسافه عليه، وجهل بالشَّيْء: لم يعرفهُ، وَجهل الحقَّ: أضاعه، وجهّله: جعله جَاهِل، وجَهله: نسبه إِلَى الْجَهْل، وجاهله: سافهه، واجتهله الْغَضَب: حمله على الْجَهْل، وتجاهل: أظهر أَنه جَاهِل وَهو لَيْسَ كذلك، واستجهله: عدّه جَاهِلا وَحمله على الْجَهْل، واستجهلت الرّيح الْغُصْن: حرّكته فاضطرب، والْجَاهِلِيَّة: مَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَب قبل الْإِسْلَام من الْجَهَالَة والضلالة"[9] .

وخلاصة الأقوال السابقة في الجهل أنه: قد يكون في الاعتقاد، وقد يكون في التصرف والفعل، فإذا كان في الاعتقاد كان مقابلا للعلم، وإن كان في السلوك كان بمعنى الخفة والطيش، فلا يكون الجاهل فكريا على يقين وطمأنينة بل يكون خائفا مضطربا في أفعاله وتصرفاته .

ثانيا: مادة "جهل" في السياق القرآني":

وردت مادة "ج ه ل" في القرآن الكريم أربعا وعشرين مرة ، بالصيغ والاشتقاقات الآتية:

1 . **"تجهلون"** فعل مضارع بتاء الخطاب، وقد ورد بهذه الصيغة أربع مرات مسندا إلى واو الجماعة .

2 . **"يجهلون"** فعل مضارع بياء الغائب، وقد ورد بهذه الصيغة مرة واحدة مسندا إلى واو الجماعة .

3 . **"الجاهل"** اسم فاعل من جهل للمفرد، مرة واحدة .

4 . **"جاهلون"** اسم فاعل للجماعة رفعا ونصبا وجرا (بالواو والياء)، تسع مرات .

5 . **"جهول"** صيغة مبالغة، مرة واحدة .

6 . **"جهالة"** مصدر سماعي، أربع مرات .

7 . **"الجاهلية"** اسم خاص، أربع مرات[10] .

وفيما يلي إيراد لأهم الصيغ التي وردت فيها نكت علمية واضحة لنتعرّف من خلالها على بعض أوجه الإعجاز التي قد تظهر من خلال دراسة مصطلح قرآنيّ .

المطلب الأول: الفعل المضارع "تجهلون" ، وقد وردت هذه الصيغة في أربعة مواضع، هي:

الموضع الأول: وصف من موسى عليه السلام لقومه في قوله تعالى **"وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" (الأعراف: 138)**.

بعد أن أنقذ الله بني إسرائيل من فرعون وملئه، فعبروا البحر آمنين بالسير في أرضه دون سفن، وأغرق الله فرعون وقومه، رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا، ولكنهم كانوا في غاية الجهالة والضلالة، فطلبوا من موسى اتخاذ إله من الأصنام، تأثرا بما رأوه يفعل ذلك من بعض العرب أو غيرهم، وكأنهم لم يدركوا معنى التوحيد الذي دعاهم إليه موسى عليه السلام [11] .

فوصفهم بقوله "إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" وحذف معمول الفعل ليدل على الجهل بنوعيه؛ **جهل عقدي:** لأن موسى وصفهم بذلك في سياق بيان إنكاره مخالفتهم مسألة عقدية وهي الرغبة في عبادة غير الله تعالى، وهو أيضا **جهل خفة وطيش** في العقل والتصرفات: لأنهم لما رأوا القوم يعبدون الأصنام طلبوا مثلها دون تفكير ولا روية .

وليس المراد بالجهل في هذا الموضع: عدم العلم، لأن موسى عليه السلام قد علّمهم التوحيد ودعاهم إليه وحذرهم من الشرك ومظاهره، ولكن طيشهم وسفههم جرهم إلى طلب عبادة غير الله .

الموضع الثاني: وصف من نوح عليه السلام لقومه في قوله تعالى **"وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ "(هود:29)** .

فنوح عليه السلام لما دعا قومه لعبادة الله وتوحيده، آمن به الضعفاء وكفر به الأشراف من قومه، فاعتبر الملأ ذلك مطعنا في دعوته، وطلبوا إبعاد الضعفاء ليفكروا في اتّباعه، فردّ عليهم نوح عليه السلام ذلك ورفضه، وقال (إنهم ملاقو ربهم) يحتمل أن يكون قال هذا على وجه الإعظام لهم بلقاء الله، ويحتمل أن يكون قاله على وجه الاختصام، أي لو فعلت ذلك لخاصموني عند الله، فيجازيهم على إيمانهم، ويجازي من طردهم. ثم بين السبب الذي حملهم على سؤالهم فقال (ولكني أراكم قوما تجهلون)[12] .

والجهل الذي وقع فيه هؤلاء هو الجهل بالقيم الحقيقية التي يوزن بها الناس فظنوا العبرة بالجاه والمال فمن اتبعه هؤلاء دليل صحة دعوته، ومن اتبعه فقراء القوم دليل على بطلان دعوته، وهذا جهل سلوكي ناتج عن خفة العقل وطيشه، أدى بهم إلى ازدراء المؤمنين، ولذا جاءت لفظة "تجهلون" مطلقة لتدل على العموم وأنه تحقّق فيهم الجهل بنوعيه (الفكري والسلوكي) .

الموضع الثالث: وصف من لوط عليه السلام لقومه في قوله تعالى **{وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (54) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" (النمل:54– 55)** ،

حذر لوط عليه السلام قومه نقمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين أبهمها، ثم قال "وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ" أي: في حال رؤية بعضكم بعضا إذ تأتون في ناديكم المنكر، ثم صرح بفاحشتهم فقال:"إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ

النِّساءِ؟ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" هذا تكرار للتوبيخ، لأنه شذوذ جنسي، وانتكاس للفطرة، لتركهم لما أحل الله من الاستمتاع بالنساء، فوصفهم بأنكم قوم جهلاء سفهاء، لا تعرفون شيئا لا طبعا ولا شرعا، وتجهلون عاقبة هذا الأمر الشنيع .

وحذف المعمول في قوله "تجهلون" لأنهم كانوا كفارا، ثم اتصفوا بجهل سلوكي لإتيانهم الرجال علانية وترك النساء ، فالجهل وصف ثابت لازم لهم إما: لأنهم لا يميزون ولا يعقلون الفرق بين الحسن والقبيح . أو يجهلون عاقبة فعلهم، أو أنه أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها، أي أنهم سفهاء ماجنون [13] .

الموضع الرابع: وصف من هود عليه السلام لقومه في قوله تعالى "**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(21) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(22) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ(23)**" (**الأحقاف: 21–23**) .

حث الله نبيه على ذكر هود بالثناء الجميل لأنه أنذر قومه بالأحقاف وهي: الرمال الكثيرة في أرض اليمن، قائلا لهم: {أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}فأمرهم بعبادة الله، ونهاهم عن الشرك والتنديد، وخوفهم –إن لم يطيعوه– العذاب الشديد فلم تفد فيهم تلك الدعوة، فأجابوه بأنه حسدتهم على آلهتم فأراد صرفهم عنها. وطالبوه بالبرهان، وهذا غاية الجهل والعناد فقَالَ { إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ} فليس علي إلا البلاغ، وذكر السبب الذي حملهم على معارضتهم بقوله {وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} فلذلك صدر منكم ما صدر من هذه الجرأة الشديدة [14] .

وفعل "تجهلون" ورد مطلقا، لأنهم اختاروا الشرك وأنكروا دعوة هود عليه السلام لهم لعبادة إله واحد، ولأنهم طلبوا العذاب، فكان جهلا عقديا وجهلا سلوكيا ناتجا عن طيش وسفه .

لطائف من لفظة "تجهلون" في المواضع السابقة:

بعد النظر في السياق الذي ورد فيه مصطلح الجهل بصيغة "تجهلون"، نسجّل اللطائف الآتية:

1– المواضع الأربعة جاءت في سياق قصص الأنبياء السابقين مع قومهم ، وهم (قوم نوح وهود و لوط وموسى) .

2 . حذف المعمول في المواضع الأربعة للفعل "تجهلون" ليدل على تحقق المعنى الجامع للجهل في الأقوام الأربعة، وهو الجهل المناقض للعلم الذي يقود إلى الخفة والطيش والسفه .

3 . في المرات الأربع جاء الفعل بصيغة الخطاب "تجهلون"، ووصف القوم بالجهل صراحة لا يناقض الحكمة في الدعوة، بل هو أسلوب من أساليبها لعلّه يهزّهم الوصف فيتراجعوا عن باطلهم.

4 . ذُكر في كلّ قوم من الأقوام الأربعة أبرز مظهر من مظاهر الجهل فيهم: **فالجهل** في قوم موسى عليه السلام كان بطلب صنم نتيجة تأثرهم بعباد الأصنام من المشركين، ورغبتهم في محاكاتهم. **والجهل** في قوم نوح عليه السلام كان في جهلهم بالقيم والموازين التي يوزن بها الناس ويحدد بها منازلهم ومقاديرهم . **والجهل** في قوم لوط عليه السلام جنسي سلوكي، يتمثل في قضاء الشهوة في موضع شاذ مستقبح

. **والجهل** في قوم عاد عليه السلام بالاختيار الفاشل، حيث اختاروا الشرك على التوحيد، وجهل بالطلب الغبي حيث استعجلوا العذاب، وجهل في التجليل الخاطئ حيث ظنوا أن العذاب غيثا .

وبهذا نرى أن كل قوم من الأقوام الأربعة تفردوا بصورة صارخة من الجهل، فجهل بني إسرائيل جهل تأثري، وجهل قوم نوح جهل تقويمي، وجهل قوم لوط جهل جنسي، وجهل قوم عاد جهل اختياري طلبي تحليلي.

5 . ورود الجهل بصيغة "تجهلون" في المواضع الأربعة يدل على أن الجهل ما زال مستمرا متجددا فيهم، لا ينفع فيه إلا العلم الصحيح وترك السفه .

6- في المرات الأربع كان جهل القوم بعمومهم، أي أنه جهل جماعي لا فردي، فهو عام فيهم جميعا .

7- الجهل في المواضع الأربعة جاء مطلقا فلم يقيد بحالة من الحالات ولا بصورة من الصور، فهم جاهلون جهلا عاما مطبقا .

8- جاء الوصف بالجهل للأقوام الأربعة على لسان أنبيائهم ، فالنبي علمه الله العلم الصحيح وبهذا العلم عرف الحق من الباطل، وأيقن أنه على حق وقومه على جهل وباطل، ومن العلم أنه بالعلم يزول الجهل، وما داموا غير متعلمين فهم جهلة .

9-الفعل في المواضع الأربعة ورد في سياق الذم والتوبيخ من النبي لقومه، حيث كان كل منهم ينكر عليهم ماهم فيه من الباطل، ويذمهم على ما هم فيه من الجهل[15] .

المطلب الثاني: اسم الفاعل "الجاهلون"، وقد ورد في ثلاثة مواضع مرفوعا، وفي خمس مجرورا، بيانها:

الموضع الأول: قوله تعالى "**قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ**" **(يوسف:89)** .

هذا لوم من يوسف عليه السلام لإخوته، فأما يوسف فظاهر فعلهم فيه، وأما أخوه، فلعله قولهم {إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ}، أو تفريقهم بينه وبين أبيه، ثم وصفه يوسف بقوله {إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ} وهذا نوع اعتذار لهم بجهلهم، أو توبيخ لهم إذ فعلوا فعل الجاهلين،و يحتمل أن يريد الجهل بقبح ما فعلوه [16] .

فالجهل هنا: بمعنى الخفة والطيش وليس عدم المعرفة، لأنهم كانوا يعلمون أن أخاهم صغير عليهم حمايته، وتعبير يوسف عن جهلهم بصيغة الماضي "جاهلون" يدلّ على أنهم كانوا كذلك، لكنهم أصبحوا متزنين عاقلين .

الموضع الثاني: في قوله تعالى "**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**" **(الفرقان: 63)** .

أَيْ: إِذَا سَفه عَلَيْهِمُ الْجُهَّالُ بِالسَّيِّئِ، لَمْ يُقَابِلُوهُمْ بِمِثْلِهِ، بَلْ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ، وَلَا يَقُولُونَ إِلَّا خَيْرًا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا [17] . فالجهل هنا بمعنى: الخفة والطيش والرعونة المقابل للحلم والاتزان، فهو جهل ناتج عن سوء الخلق والأدب في المعاملة و التعبير .

الموضع الثالث: في قوله تعالى " **قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ**" **(الزمر: 64)** .

روي أن المشركين قالوا للنبي ﷺ استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك، فقال لهم: أتأمرونني بعبادة غير الله، ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر إلا من غبي جاهل، ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال: أيها الجاهلون [18] .

فجاء وصف المشركين بالجهل، لأنهم أشركوا بالله وعبدوا من دونه حجارة، فوصف النبي ﷺ لهم بالجهل متعدّد المعاني، فجهلهم مقابل للعلم بحقيقة العبادة وهي إفراد الله وحده بها .

ومن اللطائف في صيغة "جاهلون" في المواضع السابقة :

1- أنها وردت في سياق الذم في المواضع الثلاثة، فهم مذمومون ملومون على جهلهم، بعكس صيغة "الجاهل" التي وردت في حق المسلمين، بمعنى عدم المعرفة بأحوال الفقراء لأنّ ذلك يحتاج إلى خبرة لتعرف حالهم، فهذا جهل لا يلام عليه صاحبه .

2- أحيانا كان الجهل في المرات الثلاث يزول بالتوبة من الذنب بالاستغفار كإخوة يوسف، وأحيانا لا يزول إلا بالتوبة من الكفر بالإيمان كجهل المشركين .

3- في المواضع السابقة يُذكَر طرف يوصف بالجهل وطرف يقابله بالحلم، فجهل إخوة يوسف قابله حلم يوسف وعفوه عنهم، وجهل السفهاء في الفرقان قابله حلم عباد الرحمان، وجهل المشركين قابله علم النبي ﷺ بالله تعالى وتوحيده .

4- وردت هذه الصيغة بالرفع ثلاث مرات وكلّ واحدة لها إعراب يختلف عن الأخرى:

الأولى: "إذ أنتم جاهلون" خبر . والثانية "خاطبهم الجاهلون" فاعل . والثالثة "أيها الجاهلون" منادى .

5- ورد الجهل بصيغة الجمع ليدلّ على أن جهلهم كان جماعيا [19] .

الموضع الرابع: في قوله تعالى **"وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" (البقرة: ٦٧)** .

نفى موسى عليه السلام عن نفسه الهزء لأنه في مثل ذلك جهل وسفه، وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعاً له [20] .

والجهل الذي نزه موسى عليه السلام نفسه عنه، هو الخفة والطيش المقابل للاتزان والجدية وليس المقابل للعلم، لأن بني إسرائيل كانوا يعلمون وجوب امتثال أمر الله على لسان نبيّه، ومع ذلك جهلوا في جوابهم أن موسى يستهزئ بهم في تبليغهم أمر الله.

الموضع الخامس: في قوله تعالى **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (هود: 46)** .

الجهل هنا فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن تكون من الجاهلين في سؤالك مَنْ ليس مِنْ حزبك، والثاني: من الجاهلين بوعدي، لأني وعدت بإنجاء المؤمنين. والثالث: من الجاهلين بنسبك، لأنه ليس من أهلك [21] . ولعل الجهل هنا في مقابل العلم .

الموضع السادس: في قوله تعالى **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (يوسف: 33)** .

طلب يوسف عليه السلام من ربه أن يعصمه من الذين لا يعملون بما يعلمون لأن من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواءٌ أو من السفهاء بارتكابِ ما يدعونني إليه من القبائح لأن الحكيمَ لا يفعل القبيح[22] . فالجهل الذي دعا يوسف عليه السلام ربه أن يعصمه ويبعده عنه هو: ارتكاب فاحشة الزنا، وهو بمعنى الخفة والطيش المقابلان للحلم والتعقل .

الموضع السابع: في قوله تعالى "**وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**" (**الأنعام: 35**) .

بيّن الله لنبيّه ﷺ سبب تكذيب قومه له وهو عنادهم للحقّ، وجهلهم بحقائق الآيات القرآنية والمعجزات التي تكفي للهداية، فهم جاهلون بهذا الاعتبار جهلا مقابل العلم، فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ بالحرص على ما لا يكون، والجزع في مواطن الصبر فإن ذلك من دأب الجهلة وهو منتف عنك [23] .

لطائف من اسم الفاعل "الجاهلين" المجرور في المواضع الأربعة الأخيرة:

1 . المواضع الأربعة كلّها نزه الله فيها أنبياءه عن الجهل، لأنه جهل مذموم يعاب به صاحبه، مهما كان نوعه .

2 . المواضع الأربعة كلها وردت في سياق الحديث عن الأنبياء (نوح، يوسف، موسى، مُحَمَّد عليهم الصلاة والسلام) .

3 . الجهل الذي نزه الله أنبياءه عنه ثابت لأعدائهم كما تدلّ عليه الآيات .

4- الجهل في المواضع السابقة قد يراد به الجهل المناقض للعلم، أو المناقض للحلم والرشد، وهما المعنيان الأساسيان للجهل .

5- إذا كان الجهل بمعنى عدم العلم والمعرفة فقد يفوت بعضه النبي فيجهل مسألةً ما حتى يعلمه الله، وهذا غير مذموم لأن النبيّ لا يطلب منه أن يكون عالما بكلّ شيء .

6- قد يكون الجهل بطلب الإنسان ما ليس له به علم، وهذا ما حذر الله منه نوحا عليه السلام . وقد يكون بالسفاهة والميل للنساء، وهذا ما نفر منه يوسف عليه السلام . وقد يكون بالجهل بالاستهزاء والسخرية والضحك على الآخرين، وهذا الذي تنزه عنه موسى عليه السلام، وقد يكون بعدم معرفة حقيقة الأعداء وعقليتهم وهذا ما حذر الله منه مُحَمَّدا ﷺ ، وقد يكون بالنزول إلى مستوى الجاهلية الهابط وهذا أيضا نهي عنه مُحَمَّد ﷺ [24].

المطلب الثالث: المصدر السماعي: "جهالة"، لمادة الجهل مصدران: قياسي: جهل يجهل جهلا، وهذا لم يرد في القرآن .

وسماعي وهو: جهالة، يقال: جهل يجهل جهلا وجهالة، وقد ورد هذا المصدر في أربعة مواضع من القرآن، هي:

الموضع الأول: في قوله تعالى "**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**" (**الأنعام: 54**) .

لما طلب الملأ من كفار قريش من النبي ﷺ أن يطرد المستضعفين من المؤمنين ليجلسوا هم إليه، بيّن له الله كيف يتعامل مع المؤمنين، وأمره أن يبشرهم ببشارات هي: السلام، ومغفرة الذنوب . واختلفوا في "الجهل" فقيل: إنه جاهل بمقدار ما فاته من الثواب وما استحقه من العقاب، وقيل: إنه وإن علم أن عاقبة ذلك الفعل مذمومة، إلا أنه آثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل فسمي جاهلا، فهو وإن لم يكن جاهلا إلا أنه لما فعل ما يليق بالجهال فأطلق عليه وصفهم [25].

فالجهل المذكور هنا: بمعنى الخفة والطيش لا ما يقابل العلم، لأن المسلم يعلم أن هذا الفعل محرم لكن يضعف إيمانه فيفعله، فجهالته جهالة طيش تزول بالتوبة والاستغفار، ولم يوصف الكفار بها لأن جهالتهم أكبر فهي الجهل المركب .

الموضع الثاني: "ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ" **(النحل: 119)** .

ومعنى الآية إن ربك للذين عصوا الله فجهلوا بركوبهم ما ركبوا من معصية الله، وسفهوا بذلك، ثم راجعوا طاعة الله، والندم عليها، والاستغفار، والتوبة منها فعمل بما يحب الله ويرضاه، إن ربك يا مُحَمَّد من بعد توبتهم له {لغفور رحيم}[26].

فالجهالة هنا: ما يقابل الرشد والاتزان وهو الطيش والخفة لا ما يقابل العلم،فهو يعلم أن هذا محرم لكنه ارتكبه .

الموضع الثالث: قوله تعالى "**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً**" **(النساء: 17)** .

ومعنى هذه الآية يشبه معنى الآية السابقة، فبعد أن ذكر الله تعالى عقوبة الزنا بيّن أن من فعل ذلك لطيش وضعف إيمان ثم تاب فإن الله يتوب عليه، فهي ليست جهالة مقابلة للعلم لأنهم يعلمون الحكم، إنما هي جهالة طيش وسفاهة بدليل أنهم أعقبوها مباشرة بتوبة، قال السدي: إنما سُمّوا جهالاً لمعاصيهم، لا أنهم غير مُميّزين [27] .

الموضع الرابع: قوله تعالى "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى مَا فَعَلْتُمْ نادِمِينَ**" **(الحجرات: 6)** .

يعني لا تقبلوا قول الفاسق فربما كان كذبا، فيتولد عن قبوله فعل تصيرون نادمين عليه، وذلك يدل على أنه تعالى إنما أوجب رد ما يجوز كونه كذبا لاحتمال كونه مفضيا إلى ما يضاد المصالح [28] . لأنهم إن فعلوا ذلك أصابوا إخوانهم بجهالة، أي: بسوء وشر ناتج عن طيش وخفة لعدم التثبت في الخبر، فالجهالة هنا ليست ما يناقض العلم بل هي ما يناقض التثبت من طيش وعجلة، فعلاجها التحقق من الخبر .

لطائف من صيغة "الجهالة" في السياق القرآني:

بالنظر إلى المواضع الأربعة السابقة للفظة الجهالة، تظهر لنا لطائف منها:

1 . أنها وردت في سورتين مكيتين (الأنعام والنحل)، وسورتين مدنيتين (النساء والحجرات) .

2 . السياق في المرات الأربع عن مسلمين أذنبوا بسبب ضعفٍ مرَّ بهم، ثم أعقبوا الذنب بتوبة .

3 . الجهالة في المرات الأربع، من الجهل المقابل للرشد وهو الطيش والخفة التي ينتج عنها ذنب، وليست من المقابل للعلم .

4 . المسلمون وصفوا بالجهالة لأنها غفلة تمر بهم يضعفون فيرتكبون ذنبا ثم يتوبون، أما الكفار فوصفوا باسم الفاعل "الجاهل" و "الجاهلون"، لأنه الجهل العام المطبق طيلة حياتهم .

5- أنه جاء في المواضع الأربعة مجرورا بالباء، وهي باء الملابسة والمصاحبة .

6- موقع إعرابها في المواضع الأربعة، شبه جملة في محل نصب حال، أي: هؤلاء المذنبون الذين يعملون السوء متأثرين بحالة الجهالة التي يمرون فيها .

7- يخرج من هذه المواضع الأربعة بقاعدة هي: كلّ معصية جهالة، وكل ذنب فهو خفة وطيش ورعونة، فكل مسلم متأثر بحالة مرضية هي "الجهالة" ، فلا بد أن يسارع بالخروج منها .

8- يجب التفريق بين الحالة المرضية التي تصيب المسلم وهي الجهالة العارضة فيعمل السوء، وبين الصفة العامة التي يتصف بها الكفار وهي الجهل العام المطبق الذي يتقلبون فيه طيلة حياتهم [29] .

المطلب الرابع: الجاهلية في السياق القرآني، هي اسم مشتق من الجهل، وقد وردت أربع مرات بيانها[30]:

الموضع الأول: قوله تعالى "**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ** " **(آل عمران: 154)** .

هذه الآيات في سياق بيان موقف المنافقين الذين خرجوا مع النبي ﷺ في غزوة أحد، حيث وصف الله أقوالهم واعتراضاتهم أنها من أوصاف أهل الجاهلية، وهي:

1 . اعتراضهم على الخروج بقولهم "هل لنا من الأمر من شيء"، فالتصور الإيماني يرشد إلى الاستسلام إلى قدر الله الذي قدّر عليهم الخروج، ولهذا ردّ عليهم بـ "قل إن الأمر كله لله" .

2 . تعاملهم بالنفاق مع النبي ﷺ " يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك" مع أنه ﷺ مؤيد من عند علام الغيوب .

3 . ظنهم الجاهلي في قولهم "لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا"، فظنوا أن أقرباءهم من الموتى لو بقوا في المدينة لما قتلوا، ناسين أن العبد يموت بأجله أينما كان .

فالجاهلية هنا بمعنى سوء الظن والتصور، الذي يقود صاحبه إلى السفاهة والخفة والطيش في الاعتقاد أو في الأفعال[31] .

الموضع الثاني: قوله تعالى **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (المائدة: 50)** .

أي: أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله، مبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل والقسط، والنور والهدى[32].

وذكر "حكم الجاهلية" مقابل "حكم الله"، للدلالة على أن من الرضى بالأول والنبذ الثاني مظهر من مظاهر الجاهلية، لأن المؤمن متيقن أنه لا أحسن حكما من الله، فالجاهلية هي: ما يقابل العلم، وهي: السفه والخفة والهوى.

الموضع الثالث: قوله تعالى **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (الأحزاب: 33)** .

وَلا تَبَرَّجْنَ التبرج إظهار الزينة تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولى أي مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن، من الانكشاف والتعرض للنظر، وجعلها أولى بالنظر إلى حال الإسلام، وقيل: الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح، وقيل: ما بين موسى وعيسى[33] .

أمر الله تعالى نساء النبي ﷺ أصالة ونساء المؤمنين تبعا بستة أوامر ونهاهن عن الخضوع بالقول وتبرج أهل الجاهلية الأولى، فنهاهن عن التشبه بنساء الجاهلية الأولى وَعَدَّ التبرج من مظاهر الجاهلية، فالجاهلية هنا: جاهلية خلق وسلوك تتمثل في السفور وكشف البدن، وهو تصرف قائم على نقيض الحلم والرشد والاتزان .

الموضع الرابع: إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ "(الفتح: 26) .

هذه الآيات تتحدث عن صلح الحديبية في السنة السادسة، وقد ذكر الله تعالى فيها أن أهل الكفر ما تزال حمية الجاهلية في قلوبهم، وجاء في البخاري[34] تفسير لتلك الجاهلية، في ثلاثة مظاهر هي:

– عدم إقرارهم بنبوة مُحَمَّد ﷺ رغم تواتر الأدلة .

. لم يشأ سهيل أن يكتب "باسم الله الرحمن الرحيم " بل كتب "بسمك اللهم" .

. إصرارهم على منع النبي ﷺ من دخول مكة لئلا تقول العرب إنه دخلها رغم أنف قريش .

فالجاهلية هنا يتحقق فيها المعنيان المعروفان للجهل، فهي بمعنى: عدم العلم فهم جاهليون جاهلون لا يعلمون الحق ولذلك كفروا وحاربوا الله ورسوله ﷺ، وهي بمعنى: عدم الحلم والرشد والاتزان [35] .

لطائف مع لفظة الجاهلية في القرآن:

1– مصطلح الجاهلية من تفردات القرآن، فلم يرد لا في الشعر الجاهلي ولا في التعبير العربي حتى نزل القرآن فصار مصطلحا شائعا في الاستعمال البشري ، فهو من مبتكرات القرآن .

2 – لم يستخدم لفظ الجاهلية إلا في القرآن المدني في أربعة سور هي (آل عمران، المائدة، الأحزاب، الفتح)، ولعلّ السبب أنه وبعد اكتمال التشريعات من عقائد وأحكام، توجه الخطاب لفضح الأفكار والسلوكات المخالفة للإسلام فوصفت بالجاهلية .

3– الجاهلية في المواضع الأربعة السابقة تغيّر معناها من موضع إلى آخر حسب السياق، **ففي آل عمران** جاهلية ظن وسوء اعتقاد، **وفي المائدة** جاهلية حكم وتشريع، **وفي الأحزاب** جاهلية تبرج وسلوك، **وفي الفتح** جاهلية حمية وارتباط وانتماء، وهذه المعاني المختلفة أعطتها رقعة واسعة من حياة الناس تتوزع في كل زمان ومكان، فقد تكون الجاهلية في الأفكار والتصورات، وقد تكون في الأنظمة والتشريعات، وقد تكون في العادات والتقاليد من الأزياء والملابس، وقد تكون في الولاءات والانتماءات والصلاة السياسية والقومية والحزبية، على الترتيب الذي تقدم .

4– "الجاهلية" صيغة مأخوذة من الجاهل وليست من الجهل، وارتباطها باسم الفاعل "جاهل" دليل على أنه ينظر في الجاهلية إلى أصحابها وأهلها الذين يحملون التصورات والنظريات الجاهلية .

5– الجاهلية في المرات الأربعة وردت في سياق الذم لها ولأصحابها، وقد قدم القرآن لكلّ مظهر من مظاهرها البديل الشرعي، فالظن الباطل يقابله (اليقين الإيماني) ، والحكم الجاهلي يقابله (حكم الله)، والتبرج يقابله (الاستقرار في البيت وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله)، وحمية أهل الجاهلية تقابلها (سكينة الصحابة) .

6– الجاهلية في المرات الأربعة جاءت وصفا للكفار، لا للمؤمنين الصالحين ولا للمؤمنين العصاة، فالأولى: لكفار منافقين، والثانية: أهل الكتاب، والثالثة: نساء كافرات، والرابعة: كفار قريش .

7– وصف الجاهلية "بالأولى" في سورة الأحزاب، يدل على أنه قد يتكرر وصف الجاهلية في الجوانب الأربعة التي ذكرها القرآن، فيعيشون جاهليات أخرى إذا انتكسوا عن منهج الله [36] .

خاتمة:

نخلص في آخر هذه المداخلة إلى عدة نتائج أهمها:

1- تمرّ الدراسة في المصطلح القرآني بمرحلتين هما: مرحلة البحث والجمع للمادة العلمية، ومرحلة التبويب والترتيب والصياغة، وكل مرحلة منهما فيها خطوات متعددة، ليحقق الباحث غرضه من دراسته، وفق منهجية علمية محكمة .

2- ورد مصطلح الجهل في القرآن الكريم أربعا وعشرين مرة، موزعة على سبع صيغ، هي: **"تجهلون"** ، **"يجهلون"** ، **"الجاهل"** ، **"جاهلون"**، **"جهول"** ،**"جهالة"** ، **"الجاهلية"** .

3- تنوعت معاني الجهل في القرآن الكريم، على الجهل المقابل للعلم، والجهل بمعنى الخفة والطيش، وكل منهما جاء في الموضع المناسب له كما سبق تفصيله .

4- وصف الأنبياء لقومهم بالجهل لا ينافي الحكمة في الدعوة، بل هو أسلوب من أساليب هزّ النفس لعلها تستيقظ من غفلتها فتنقذ نفسها من العذاب .

5- الأقوام الذين وصفوا بالجهل على حسب الصيغة المناسبة لهم، لا يقتصر هذا الوصف عليهم، بل إن كل من اتصف بصفاتهم ينطبق عليه وصف الجهل ويراد به ذمهم .

6 – مصطلح الجهل ورد في السياق القرآني كله مورد الذم ، مما يدل على أنها صفة ينبغي للمؤمن اجتنابها، فمهما قصد بها فهي مذمومة .

وأوصي في الأخير أن يهتم الباحثون بالمصطلحات القرآنية جمعا ودراسة، ليظهر وجه الإعجاز فيها .

قائمة المصادر والمراجع:

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

2- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، ت: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 1 ، سنة: 1418 هـ .

3- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ت: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر – بيروت، سنة: 1420 هـ .

4- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد الرومي، مكتبة التوبة، (د. ت) .

5- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ت: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: 1 ، سنة: 1416هـ.

6- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير الدمشقي، ت: سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2: سنة: 1420هـ/ 1999 م .

7- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3، سنة: 1420 هـ .

8- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط : 2 ، سنة: 1418هـ .

9- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، صلاح الخالدي، دار النفائس، الأردن، ط: 3، سنة:1433هـ /2012م .

10- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللّويحق، مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1420هـ/2000 م .

11- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1،سنة: 1420 هـ/2000 م .

12- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: 2، سنة: 1384هـ /1964 م .

13- دور التفسير الموضوعي، د: مُحَمَّد عبد الرحمان المرعشلي، وهو بحث مقدم لمؤتمر الشارقة .

14- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ت:عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي،بيروت، ط:1، سنة:1422هـ.

15- الجامع الصحيح، البخاري، ت:مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت، ط:3، سنة:1407هـ/ 1987م .

16- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، ت: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1417 هـ/1996 م .

17- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: 3 ، سنة: 1414 هـ .

18- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومُحَمَّد النجار، دار النشر : دار الدعوة .

19- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط:1، سنة: 1399هـ/ 1979م .

20- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: 1، سنة: 1412 هـ .

هوامش البحث:

[1] والمقصود هنا هو: الراغب الأصفهاني في "مفردات القرآن" ومن كان على طريقته، لأنه يذكر اللفظة ثم يذكر مواضع ورودها والمعنى الذي وردت به في كل موضع، وأمّا غيرها من كتب غريب القرآن فهي لا تدخل لأنها تشرح اللفظة فقط .

[2] بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد الرومي، مكتبة التوبة، (د. ت)، ص: 66 -67 .

[3] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، صلاح الخالدي، دار النفائس، الأردن، ط: 3، سنة: 1433هـ/2012م ص: 64-65 .

[4] – دور التفسير الموضوعي، د: مُحَمَّد عبد الرحمان المرعشلي، وهو بحث مقدم لمؤتمر الشارقة .ص: 16-17 .

[5] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط:1، سنة: 1399هـ/ 1979م، (1/ 489) .

[6] المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني ، ت: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط: 1، سنة: 1412 هـ،ص: 209.

[7] عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، ت: مُحَمَّد عيون السود، دار الكتب العلمية، ط:1، سنة: 1417هـ/1996م،(1/ 353) .

[8] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: 3 ، سنة: 1414 هـ . (11/ 129) .

[9] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مُحَمَّد النجار)، (1/ 143).

[10] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح الدين الخالدي، ص103-104 .

[11] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط : 2 ، سنة: 1418 هـ . (9/75- 76) .

[12] أحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: 2، سنة: 1384هـ /1964 م . (9/ 26) .

[13] التفسير المنير، وهبة للزحيلي، (19/ 323) .

[14] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللّويحق، مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1420هـ/2000 م . (ص: 782) .

[15] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح الدين الخالدي، ص114-115 .

[16] التسهيل لعلوم التنزيل،ابن جزي، (1/ 395)، وتفسير تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمان السعدي ، (ص: 404) .

[17] تفسير القرآن العظيم ابن كثير، ت: سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2: سنة: 1420هـ/ 1999 م . (6/ 122) .

[18] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ت: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر – بيروت، سنة: 1420 هـ . (9/ 218) .

[19] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح الدين الخالدي، ص: 129-130 .

[20] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ت: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط: 1 ، سنة: 1418 هـ . (1/ 86) .

[21] – زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، سنة: 1422 هـ . (2/ 378) .

[22] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (4/ 274) .

[23] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (2/ 160) .

[24] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح الدين الخالدي، ص: 142-143 .

[25] التفسير الكبير، فخر الدين الرازي،دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3، سنة: 1420 هـ، (13/ 7) .

[26] جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1420 هـ/ 2000 م . (14/ 392) .

[27] زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي، (1/ 383) .

[28] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (16/ 168) .

[29] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح الدين الخالدي، ص: 167-168 .

[30] لم يرد لفظ الجاهلية في الشعر الجاهلي، بل هي صيغة استعملها القرآن للدلالة على الفترة الزمنية التي سبقت نزول القرآن، وذكر أحمد أمين في "فجر الإسلام" أنها من الجهل الذي هو السفه والغضب والأنفة، وليست من الجهل الذي هو ضد العلم .

[31] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح الدين الخالدي، ص: 173-174 .

[32] تيسير الكريم الرحمن، تفسير السعدي، (ص: 235) .

[33] التسهيل لعلوم التنزيل، تفسير ابن جزي، (2/ 151) .

[34] رواه البخاري في كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، برقم: 2581 .

[35] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح الدين الخالدي، ص191-192 .

[36] المصدر نفسه، ص196-199 .